عبد الله كنون

من أدبنا الشعبي

عـبـد الله كـنـون

مـن ادبنـا الشعبى

(فصلـة مـن مجلـة «تطـوان» ـ العدد الخامس 1960)

1960
دار كريمـاديس للطباعة
تـطـوان

عبد الله كنون

من ادبنا الشعبي

للرئيس عبد المهيمن الحضرمي مقامة ادبية تسمى مقامة الافتخار بين العشر الجوار، أنشأها على لسان عشر جوار، بيضاء وسمراء وطويلة وقصيرة، وسمينة ونحيفة، وحضرية وبدوية، وشابة وعجوز تفاخر كل منهن نظيرتها بأن الحسن هو وصفها، والجمال هو حليتها في نثر مسجوع مفتتح بالحمد والصلاة، ومخلل بقطع شعرية تناسب المقام .

وقد قلنا في تحليل هذه المقامة أثناء الكلام على آثار عبد المهيمن في ترجمته من الذكريات ما يلي : (1)

وفكرة المفاخرة من هذا النوع بين الجواري موجودة في قصة من قصص ألف ليلة وليلة معروفة، الا انها انما تقع بين ست جوار فقط، بيضاء وسمراء، وسمينة وهزيلة، وصفراء وسوداء وليس هناك تماثل في العرض ولا في التصميم بين مقامة صاحبنا وقصة الف ليلة وليلة. مما يدل على انه ليس هناك استيحاء مطلقا من احد الجانبين، **ولعلها فكرة شعبية** كانت شائعة في القصص العامي فاستوحى منها كاتبنا وقاص ألف ليلة وليلة ».

وهذا الرأي الذي كان مجرد احتمال قد تحقق الآن ولم تمض على اذاعته بضعة شهور. ذلك اننا عثرنا في مجموع لصديقنا الاستاذ الكبير السيد محمد داود على زجل يتضمن قصة الجواري العشر بالتمام والكمال كما يقال، وهو للزجان المغربي المشهور ابن داود، وقد جعل مسرح القصة في مدينة فاس وتناولها في نفس طويل على طريقة النظم العامي بترتيب محكم وتقسيم بديع .

---

1) انظر الحلقة 26 من الذكريات

ونعود الـى تمام الكـلام علـى المقامة الحضرمية والمقارنة بينها وبين قصة الف ليلة وليلـة، لنقـول كلمتنـا بعد فى هذا الزجل، وهذا ما جاء فى ترجمة عبد المهيمن باثر الكلام السابق فى هذا الصدد:

(وعلى كل حال فقد اختلف العملان الادبيان (المقامة والقصة) فى الكم والكيف، وان اتحدا فى الفكرة، فعدد الجوارى فى المقامة عشر وفى القصة ست ومع ذلك فهما لا يتفقان بالكيف الا فى اربع من الجوارى، ثم لا يتلاقيان بعد لا فى تقديم ولا فى توصيف، باستثناء تعقيب مفاخرة كل جارية بقطعة من الشعر الذى يناسب تفاخـرها. وتنتهـى قصة البصرى صاحب الجوارى الست ببيعه لجواريه للخليفة المأمون، ثم منه عليه بردهن اليه فى الآخر .

امـا مقامـة عبـد المهيمن فتنتهى بحكم العجوز بين بقية الجوارى، بما يرضى غرور كل واحدة منهن، مـا عـدا القصيرة التى اوصتها بالتأدب مع مناظرتها الطويلة، وما عداها هى التى انصفت واعترفت للشابة بفضلها عليها وحجتها القائمة امام دعواها الباطلة، وبذلـك انسحبـت من صف الجوارى، وان جمعها معهن هذا الاسم اولا على سبيل التغليب) .

(وفـى المقامـة حركات تمثيلية تنبىء عن ذوق فنى لدى الكاتب، فمثلا عند تقديم الجارية البيضـاء يقـول «واذا بجارية يغلب ضياء وجهها ضياء الشمس، فوقفت بين الصفوف وسلمت ببنانها الخمس» يعنى انها اشارت للسلام بيدها فقـط، بينمـا هـو يقول فى تقديم السمراء : «ثم حطت اللثام عن وجه يشهى الالتثام، وابلغت فى السلام، واقبلت تواضعا على رؤوس الاقدام» فوصف تسليمها بما يناسب شعورها بالغضاضة. وفى تقديم الجارية الطويلة يقول «واذا بجارية تتخطى الرقاب، بعد ان حطت النقاب» فجعلها تتخطى الرقاب لقامتها الفارعة، على حين انه لما قدم القصيرة قال : « واذا بالقصيرة قد اقبلـت تجـر اذيالهـا.. فولولت وصاحت.. ثم قعدت فى اعلـى مكان، وتكلمت بأفصح لسان» فجعلها تجر اذيالها مما يناسب حالة قصرها، وتولول وتصيح لتثيـر الانتبـاه اليها، شأن قصار القامة فى اصطناع الاسباب التى تلفت اليهم الانظار فهذا يضع طربوشا طويـلا على رأسه، وهذه تلبس حذاء بكعب رفيع الخ. ثم ختم بهذه الحركة البارعة وهى جلوسها فى اعلى مكان لاجل ان يراها الحاضـرون ولا تنغمـر بقصرهـا بيـن الجالسين من ذوى القدود الكاملة. وفى تقديم العجوز يقول «فلما اتمت الحضرية هذه الابيات

وقد افصحت في البلاغة والغايات، اذا بهزة عظيمة في المحفل، كاد يرجع اعلاه منها اسفل فأتت عجوز قد اشتبكت مع صبية، وبينهما معاطاة ومجادلة قوية، والصبية تنادي وتقول : كثر الحمق وقلت العقول...» الى آخر كلامها. فأتى بمنظر صاخب كله حركة واستنكار بالنسبة للنظارة وللشابة والعجوز التي تطامنت في الاخير لتستأنف تظاهرها فيما بعد بكلام يدور كله على ما لها من الدهاء والحيلة في تأليف الرجال وتسخيرهم. ولو كان هذا العرض على مسرح حديث لما زاد حيوية ونشاطا على ما قدمه به المترجم».

هذا ما قلناه بشأن مقامة الحضرمي قبل ان نقف على زجل ابن داود واذا كان هذا الزجل قد اكد لنا أن فكرة المقامة هي كما ارتأينا فكرة شعبية استلهمها صاحبنا عبد المهيمن فكتب مقامته على اساسها كما استلهمها كاتب قصة ألف ليلة وليلة ولكن على نطاق ضيق نحسب انه الذي كان رائجا في بيئة الكاتب، فان جميع ما قلناه في تحليل المقامة يصح قوله في تحليل الزجل بلا تحفظ، ذلك ان وجوه التشابه بينهما كثيرة لا تنحصر فقط في ان عدد الجواري عشر وان ألوانهن وصفاتهن هي هي بعينها في كل من المقامة والزجل، ولكن كثيرا من التعابير والالتفاتات الذهنية والحركات التمثيلية التي اعجبنا بها في المقامة هي مما يوجد ايضا في الزجل، حتى وصف العربية بمعنى البدوية حسب الاصطلاح العامي نراه مستعملا في المقامة استعماله في الزجل اعني في مقابلة الحضرية، ومن هذا الاشتراك في اللفظ تتطرق البدوية الى الافتخار بالنبي صلى الله عليه وسلم لكونه من العرب، سواء في المقامة او الزجل. وان دل هذا على شيء فهو ان عبد المهيمن كتب القصة في شكل مقامة، وابن داود نظمها في شكل زجل، كما كانت الجماهير الشعبية تقصها بألفاظها وتصويرها الا ما تقتضيه صياغة المقامة من السجع وقانون الزجل من اعاريض واوزان. ومع ذلك فلم تخل المقامة في حوكها من بعض الاساليب العامية، وهي المفروض فيها ان تبتعد كل البعد عن ذلك الابتذال حتى ظننا اولا ان بها تحريفا من النساخ، وما هو لا الحرص على محاكاة الاصل وعدم التصرف في مادتها الخام الا بما لا مندوحة عنه للكلام المعرب .

وهذا النوع من استيحاء الادب الشعبي والاستمداد منه وخاصة في المقامة معروف ومعهود، ولا سيما عندنا في المغرب، فهذه مقامة القاضي ابن ابي حاتم العاملي المتوفى سنة 815 المسماة بحضرة الارتياح المغنية عن الراح قد قيل في سبب انشائه لها انه لما امتحن بعد توليته القضاء بجبل

الفتح (جبل طارق) وسجن بفاس وجد بالسجن رجلا من العوام يؤنس بمثل نسقها جلساءه فنسج على نحوه مقامته وابرزها للناس، فتعجب كل من طرأت سمعه واستحسنها وكانت سببا لخلاصه من نكبته. على ان ابن ابى حاتم قد اجاد التحبير واتقن التعبير بحيث لو لم نعلم بأصل مقامته لما ظننا ان هناك اقتباسا اصلا، ولا كذلك مقتبس مقامة العشر الجوارى، ولهذا السبب بقيت مقامته مهلهلة النسج نازلة عن درجة البلاغة التى تليق بأمثاله من ذوى الرسوخ فى الادب، فلم نملك نحن بعد مقابلة نسختين اصليتين لها رأيناهما عند صديقنا البحاثة الاستاذ محمد المنونى الا ان نسوى منهما نسخة اقرب ما يكون الى ادب عبد المهيمن وعلو كعبه فى علوم العربية، وذلك بالغاء ما فيها من بعض القطع الشعرية المختلة الوزن والتافهة المعنى وباعادة سبك بعض العبارات التى مهما كانت مجاراتها للاصل العامى فان تحريفا نسخيا لابد ان يكون دخلها، وهذه النسخة هى التى نعرضها فيما بعد.

واما الزجل فانه على العكس من ذلك قد ارتفع بالقصة عن المستوى العامى الصرف الى مستوى ادبى يتناسب والعمل الفنى الذى افرغ القصة فى قالبه، ويدل على ان صاحبه كان ذا ثقافة ادبية لا بأس بها، شأن هؤلاء الزجالين الممتازين، فهو يعبر عن الجوارى بالريام يعنى جمع ريم، وهذا عنوان لما يتضمنه الزجل من الالفاظ العربية الفصيحة اذ كان الكتاب يفهم من العنوان، على انه قد يجرى فى هذه الالفاظ بعض التغيير حسبما تقضى به قواعد العامية او تستلزمه ضرورة النظم، وهو امر معهود لدى كبار الزجالين حتى الادباء منهم، وليس هذا فقط فان الابداع فى التصوير والبلاغة فى التشبيه وقوة الخيال التى تشيع فى كل قسم من اقسامه لما يجعله عملا فنيا رائعا وذلك طبعا فى دائرة الادب الشعبى الغنى بأشكاله وألوانه فضلا عن معانيه واخيلته.. ومن هذه الاشكال القصة التمثيلية التى يعد زجلنا هذا نموذجا من نماذجها وان كان تمثلها فى الشكل المعروف منه **بالحراز** اقوى .. وعلى كل حال فهذا لون من ألوان ادبنا الشعبى نعرضه على القارىء العربى مغربيا وغيره، ونحن متيقنون انه سيجد له لذة عقلية فذة، وانه سيطرب من بعض معانيه وتصويراته الجميلة، وانه سيعتبره اثرا من آثار العبقرية الفنية عند الطبقات الشعبية العربية، وينظر من خلال تعابيره، واسلوب الاداء فيه الى تطور اللغة العربية وما بقى منها حيا مستعملا عند الشعب المغربى فى ابعد نقطة من بلاد العروبة، فيعلم ان هذه اللغة باقية خالدة لا تموت ولا تنعدم، وهذا غاية ما يستفاد من اى انتاج ادبى ناجح .

على ان لنا ملاحظة هى ان نهاية الزجل ليست طبيعية، لان الجوارى العشر بعد ان ينتهين من المفاخرة ويعرفن ان الاديب ابن داود كان حاضرا فى المعركة يعتذرن اليه ويطلبن حكمه بينهن، وهذا امر يخالف فيه الزجل المقامة، لان هذه حكمت العجوز كما مرت الاشارة لذلك، ثم انه يختم زجله ولا يعرج على الحكم المطلوب، فهل سقط من الزجل شىء ام ان ابن داود احتفظ بالحكم لنفسه حتى تبقى علاقاته طيبة مع «الريام» كلهن ؟ ..

والآن نقدم الى القارىء اولا نص المقامة الحضرمية بتهذيبنا كما اسلفنا ثم نقدم اليه ثانيا نص زجل ابن داود، وبالاعتماد على ان المقامة توضح الموضوع فانا لا نتعرض بالبيان الا لبعض الالفاظ او التعابير العامية المحض التى لا تفهم دلالتها بغير التوقيف اما ما تغلب عليه الصبغة العربية الاصلية من مفردات وتراكيب فانا نتركه للقارىء الاديب الذى لا يخفى عليه معناه .

المقامة

برزت لخارج بلد فاس الاشهر، وانتهيت الى واديها المعروف بوادى الجوهر فلم يكن غير بعيد، واذا بمحفل يرتج بالغيد، وقد دار بينهن عتاب، بألفاظ تعجز عنها ألسنة الكتاب، بيضاء وسمرا، فى مفاتنة كبرى، وكاملة وقصيرة فى معاطاة كثيرة، وسمينة ورقيقة، فى معاتبة حقيقة، وعربية وحضرية، فى مجادلة قوية، وعجوز وصبية، فى مخاصمة بذية، فبينما انا انظر فى تلك الوجوه المشرقة، والقدود المرونقة، واذا بجارية يغلب وجهها ضياء الشمس، فوقفت بين الصفوف وسلمت ببنانها الخمس، ثم تقدمت وقالت

الحمد لله الذى جعل البياض طراز كل جمال، وشرف اهله بالحياء والكمال، واعطاهم عزة لا تبيد، وصير السمر لهم عبيد، الا وان على قلبى جمرة، من معاتبتك يا ذات السمرة، أعندك يا سمراء ما عندى، وليس قدك كقدى ولا خدك كخدى، جبينى ذو ابتهاج، وذوائبى كقطع الزاج (I)، ورشح عرقى كمسك اذ فر، يرشح من تحت البرد والمغفر، وثغرى اقحوان، وديباج وجهى أرجوان، وان اسبلت شعرى المضفور فظلام ليل على بياض كافور ثم انشدت :

I) الزاج عقار يدخل فى تركيب المداد

قل للذى أزرى بأهل البياض ... ما أنت الا باطل الاعتراض
فورد خدى أبدا زاهر ... فى كل فصل فوق خدى رياض
يا حاسدى مت كمدا انما ... تجنى المنى من الخدود الغضاض

ثم سلمت بالبنان، وامسكت العنان، فتقدمت السمراء وحطت اللثام، عن وجه شهى الالتثام، وأبلغت فى السلام، وأقبلت تواضعا على رؤوس الاقدام، فوقفت كالغلام وافصحت فى الكلام، وقالت

الحمد لله الذى خلق الانسان فى احسن تقويم وجعله افضل الحيوان وفرق بين الصور والالسنة والالوان، وزين الابيض بشعر كالغسق، وامتداد الحاجبين وسواد الحدق، وأجل ما يقف له العاشقون اجلالا، ويرتجلون فيه الاشعار ارتجالا، مسكة الخال، وعقرب الدلال، ثم التفتت الى البيضاء وقالت يا اشبه شىء بجبن الروم، أخرقت حجاب الاشروم (I)، ما زال طعامك قليل الملح، وجفنك كثير الرشح، ولبنك أذى، وعسلى انا غذا، ولونى لون الخمر، وطعمى طعم التمر، ثم انشدت :

الحمد لله ليس التبر كالورق ... قد احسن الله فى خلقى وفى خلقى
فالجسم منى نضار صيغ منظره ... بمسكة فغدا طيبا لمنتشق
يا من يعيرنا باللون ان لكم ... جهلا يقود الى الطغيان والحمق
كم اسمر قلبه كافورة وله ... من السعادة نجم لاح فى الافق

فلما فرغت من كلامها، وما ابدعته من حسن نظامها، تبرقعت بنقابها، وسلمت على الصفين، وقبلت اسارير الكفين، واذا بجارية تتخطى الرقاب، بعد ان حطت النقاب، عن ديباج صقيل، ورنت بطرف كحيل، ومالت بقد قويم وردف ثقيل، فسمعتها تقول، اليكم يا ذوى العقول، فلعلكم تحكمون بينى وبين هذه القصيرة فانها عمية البصيرة، تعيب الكمال، وهى الطبقة الثانية من الجمال، ثم قالت فى الثناء على ذى الجلال، واجادت فى المقال :

الحمد لله فالق الاصباح من بعد الغيوم، لا اله الا هو الحى القيوم، وصلى الله وسلم على محمد نبيه الذى ارتضاه لنفسه حبيبا وخليلا، وارسله لجميع خلقه نبيا ورسولا، ثم قالت أين هذه التى تعيب ما لا يعاب، وتدخل نفسها فى الامور الصعاب، لا تحجب عين الشمس بالغربال، والثعلب لا يقابل بالاشبال، يا هذه خطابك الى من غير الواجب، ألم تسمعى أن العين

I) لعله يعنى الفرج فان من اسمائه الشريم ولم نقف على الاشروم

ولو علت فوقها الحاجب، فالى كم يا زريعة ياجوج وماجوج، يكون فرسك معى للشر مسروج، ثم صالت وما اعتدت فأنشدت :

نحن قوم لنا بهاء البنود ولدينا تفاخر بالقدود
كل زين أزينه بكمالى وجمالى وغنج لحظى وجيدى
واذا ما القصار قلدن حليا صار كالدر فى نحور القرود

فلما أتمت كلامها، وانهت نظامها، اذا بالقصيرة قد أقبلت تجر اذيالها وتواتر اقوالها، فولولت وصاحت، واعلنت بما فى ضميرها وباحت، ثم قعدت على أعلى مكان، وتكلمت بأفصح لسان، فقالت تخاطب الطويلة يا شقيقة الزرافة الى كم تطيلين هذه الخرافة، يا ناقة العشير، (1) وقصبة النشير، (2) ويا كاملة الصاد، (3) وقليلة القصاد، نحن أهل المعانى الرقاق، وفتنة العشاق، وعلى منظرنا طلاوة، ورونق وحلاوة، فأرى لك من الرأى والتدبير ان تأخذى معى فى التقصير، فان الله تعالى خلق الكامل والمتوسط والقصير، على ان القصر والكمال، انما هو فى الافعال، ثم قعدت على أعلى مكان، وتكلمت بأفصح لسان، فقالت

الحمد لله الملك الكبير، الذى ليس له حاجب ولا وزير، وصلى الله وسلم على محمد نبيه وعلى ءاله ما هب نسيم وفاح عبير. ثم انشدت

غزلان الانس ذوو القصر وشفاء النفس مع البصر
فيعيش القلب بمنظرنا وتقر العين من النظر
واذا ما الروض أتيت فلذ بقصار القد من الشجر
اياك النخل فان لها طولا يهديك الى الغرر

وبينما هما فى طويل من الكلام وعريض، يتنازعان ابيات القريض، اذا بضجيج كضجيج الناس فى الحجيج، والناس قد تطاولت أعناقهم، وشخصت احداقهم واذا انا بقلاع، يسوق مركبا موسوقا بالسلاع، فقلت ما هذه السفينة، فقيل لى هذه الجارية السمينة، فدار المحفل عليها كالحلقة، فقلت سبحان من لا يمل من خلقة، فحطت من القلق رداءها، وغاظت بأعكانها حسادها واعداءها، وقد تكلل العرق على جبينها كدر الحباب، وفتنت بروض خدها ذوى الالباب ثم قالت :

---

1) العشير الزوج والمقصود تشبيهها بالناقة فى الطول
2) لعله يريد القصبة التى يرفع بها حبل الغسيل اى الثياب المغسولة حين ينشر، وبالنشير يسمى فى كلام العامة .
3) الصاد داء يصيب الابل فتسيل انوفها فترتفع برءوسها .

الحمد لله باسط الرزق وسابغ النعم، المنفرد فى ديموميته بالقدم، والصلاة على خيرته من خلقه سيد العرب والعجم، صلاة تنجى العبد يوم المزدحم، ثم اعتمدت بكفها على عطفها، ومالت كالبحر الزاخر، فقدمت المقادم واخرت المواخر وقالت اين هذه المسفولة الصوت، الواقفة بين ميدان الحياة وميدان الموت المنفوضة اللحم، التى حرم عليها كما حرم على بنى اسرائيل الشحم، المنغصة العيش الكثيرة الطيش، الضعيفة المخاخ، الشديدة الفخاخ، النحيلة من غير علة، الهزيلة من غير قلة، كفى يا مسقومة عنى هذه الغزارة، واعلمى ان على جسمى من الزينة نضارة، أقتنص بها القلوب من غير حيلة ولا ادارة، ونهدى واعكانى، يغنيانى عن الشورة (1) فى ركانى، ثم أنشدت

الحمد لله فى سر وفى علن | حمدا يخلصنى من ظلمة المحن
قد نلت ما اشتهى فى الدهر من ارب | فى العقل والقلب منى ثم فى البدن
ان البهاء يزين الخلق منظره | كما تزان حلى الاشجار بالدمن
أرحت قلبى من هم ومن سهر | وساعد السعد بالافراح فى زمنى
يا من تعوذ بالتوبيخ كف فما | يشبه العجف فى الانعام بالسمن

وذهبت لتجلس فما استقر بها القعود، الا وجارية وقفت كأنها كوكب السعود، تبتهج باللطف والابتسام، وتضطرب كما يضطرب الحسام، وتبتسم عن ثغر كاللئال، ريقه كالعذب البارد الزلال، ثم قالت الي الي يا معشر العشاق فعلى مثلى تندب الاطلال ويجرى الدم المراق، وحمدت الله عز وجل بقولها

الحمد لله الذى اودع الحكمة فى النفوس الرقاق، باعث الخلق وناشرهم يوم التلاق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بالحوض والشفاعة واللواء والبراق، ما حدا حاد وساق الركب اليه مشتاق، يا من حضر فى مجلسنا، ولاذ بأنسنا، أسمعت مقالة هذه العاهة، وما ظهر منها من قلة النزاهة، هذه التى تفتح فمها مثل التمساح، وتبلع القرع وتخرجها صحاح، وان قرب منها الرجل لمقصد او سول، غرق فى بحر بسول، قلبها بالعلف هائم، كما تفعل البهائم ثم أبرقت وأرعدت، وقالت فأنشدت

يا عاهة ليس لها من خلاق | هواك قد انساك يوم التلاق
والحشر والنشر وأهواله | وخجلة العبد وخوف المساق
لو كان للقلب به فكرة | لكان للجسم ضنى واحتراق
نحن رقاق فى النفوس ولا | يرق قلب الصب الا وراق

(1) الشورة زينة المرأة وثيابها وما تصحبه معها من متاع لبيت الزوج

ثم قالت : وما حيلتك ايتها العاهه اذا جاوت الاربعين، وأتتك العلل بجيش كمين وقد تدلت منك الحواصل، وهجرك الصديق المواصل، وتكمشت منك الحلاقم وتفرقت على أعضائك البلاغم، وتعطلت منك القوائم، فلا تتحركين الا بعجلة ودعائم وأنشدت :

اذا رق الحسام قضى وأمضى / وخط بحده جيد النفاق
وان رق الزجاج وراق فيه / رقيق الخمر لذ لكل راق
فتبصره نحيلا فى نحيل / ويعظم فعله عند المذاق

ثم أنى سمعت صوتا يصيح، ويقول بلسان فصيح

مهلا رويدا يا جميع من حضر / حتى اقول بين بدو وحضر
من هن ربات الخدود الناضرة / ذات الخيام او نساء الحاضرة
نحن جوار من بنات البادية / ملامح الحسن علينا بادية
فان بدت منكن لى مكلمة / أنا التى اردها مكلمة

ثم حطت اللثام، عن وجه يشبه البدر ليلة التمام وقالت :

الحمد لله الذى أمره بين الكاف والنون، الحاضر الناظر القاهر الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون، وصلى الله على النبى الذى نور الافئدة فأبصرت البصائر وقرت العيون، وأنشدت :

قد مال الحسن الى العرب / نحن الاقمار بلا كذب
فلنا أرج ولنا غنج / ولنا دعج بالسحر حبى
ولنا كرم ولنا همم / ولنا ذمم للمكتئب
ولقاصدنا فينا أرب / فيما يرجوه من الارب
قد شرف محتدنا وكفى / ان المختار من العرب
صل ما دمت عليه تفز / يوم الاهوال من الكرب

ثم قالت : نحن ربات القلوب، ومنتهى غاية كل مطلوب، جمالنا ابدع جمال ولساننا أفصح لسان، فالعربية بهذا البيان قمر فى شكل انسان، وسكتت فاذا بجارية حضرية، ذات جمال فائق وهمة سنية، نادتها كفى عن الجدال، ودعى هذا الاحتيال، فان من بالمعاطاة يلوذ، كمن يدخل فى جهله فى زقاق غير منفوذ، اياك ان تذكرى فى هذا المحفل نسبا او قبيل، وان اردت ان تفتحى للحرب بابا فانه على السبيل، واعلمى ان رعيان الجمال، لا يفتخرون بحسن ولا بجمال، ثم قالت :

الحمد لله الذى فضل على البادية الحاضرة، واعطانا الراحة فى الدنيا وأعاننا على طريق الآخرة، وخصنا بأحسن الملابس وأيمن المواطن، وأمن قلوبنا فى الظاهر والباطن، ووشحنا بالحلى والحلل، واسكننا فى القصور والدور فى ظل الحجب والكلل، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له عدة للقائه يوم تكون النفوس حاضرة، والوجوه الناضرة الى ربها ناظرة، وصلى الله على محمد وعلى ءاله واصحابه واصهاره، وأزواجه وانصاره، وقالت : ما اعطيت الهمة السنية، الا للجارية الحضرية، خدى مورد، ونحرى مفند، ولا يرى صدرى العابد الزاهد الا تنهد، ثم أنشدت :

الا انما الحسن حسن الحضر ... علينا ومنا وفينا ظهر
فان كنت يا هذه نجمة ... بأعلى السماء فانى قمر
بسحر الجفون وغنج العيون ... أسل القلوب كسل الشعر
ومن ليل شعرى ظلام المسا ... ومن وجنتى الصباح الاغر

فلما اتمت الحضرية الابيات، وقد افصحت فى المبادىء والغايات، اذا بهزة عظيمة فى المحفل، كاد يرجع اعلاه منها اسفل، فأتت عجوز قد اشتبكت مع صبية، وبينهما معاطاة ومجادلة قوية، والصبية تنادى وتقول، كثر الحمق وقلت العقول، يا قوم اعدلوا بينى وبين هذه العجوز، بكلام يتعقل ويجوز، فقالت العجوز يا هذه الزمى الوقار، وكفى النفار، فأنا أفصح منك وأعلم، واسبق واقدم، ولا احق بالتعظيم، ممن له الحق القديم، ثم قالت

الحمد لله راحم الشيب، وساتر العيب، وجامع الناس ليوم لا شك فيه ولا ريب أنا من ذوات العهود والمواثق، أجمع بين المعشوق والعاشق، وأزوج العرائس، وأقبل النفائس، وأشرف المجالس، ولا تجرى السفينة الا بمحاولة الرائس، ألجم الرجل بالشكيمة، وأرده فى الاركان يدور كالبهيمة، على اننى اقضى له المآرب والاوطار، ويجد عندى كل سلعة لا توجد عند العطار، وارفع عنه المؤن والوظائف، ولا اطالبه بشىء من التكالف وأقنع منه بالزبيبة، واكون له تارة محدثة وتارة طبيبة، فانظرى ايتها الصبية من يكون لك عون، ولا تمشى على اثرى فتغرقى كما غرق فرعون، فانى اكثر منك بحثا عن المناسب، ولى معرفة وذهن ثاقت، وان شئت مناظرتى ومناضلتى ففكرى فى العواقب ثم أنشدت :

أمنت الدهر يا بنت الزواني ... وصار لك البها نصب العيان
فكم طفل قضى في خفض عيش ... وأخلف ظنه بعد الاماني
اله العرش عمرني وأبقى ... سعودي ثم ساعدني زماني
جررت الذيل في زمن افتخاري ... ونزهت الجفون بمهرجان
واني اليوم من ستين عاما ... ولكني أعد من الحسان
فيوم في المجالس باتعاظ ... ويوم في المحافل والمغاني

(قال الكاتب) وكانت العجوز مخضوبة البنان، مسوكة الفم وليس لها اسنان، مصبوغة الحاجب والسالف، تندب على ما فاتها في الزمن السالف ثم أنشدت

اذا جف لين التين يحلو مذاقه ... وأحلى مذاقا في الثمار العجائز
عجزت وليس القلب مني عاجزا ... واني لمن قد رام حربي مبارز
فطعمي ذكي طيب النشر عاطر ... وانسان عيني للمحبين غامز

ثم قالت وان اردت يا هذه المجون والرقاعة، فأنا والله ربة الصناعة واستاذة الجماعة، واذا بالصبية قد أتت تدرج درج القطا على الاقدام، وتبدت فأقبلت اقبال العام، ووردت ورود الغنى على اهل الاعدام، وهي تزعم بنفسها كما يزعم البطل المقدام، اذا ساعدته الايام، ترمق بلحظ نائم، وتفعل بأشفارها في قلوب العاشقين ما تفعله الصوارم، ثم نادت : ايتها العجوز الشمطا، يا من كشفت بعيبها عن نفسها الغطا، أما قنعت يا عجوز، يا نشوز، أما كفاك، سد الله بالشوك فاك، هيهات هيهات يا عجوز، يا بنت الدروز، ان يكون لك بعد الهرم طلق، او يكون الجديد مثل الخلق، اما رأيت شعري الفاحم، وثغرى الباسم وغصني الناعم، ثم حطت النقاب، فأخرجت الشمس من تحت السحاب، وقد سلمت على القوم فأفصحت، وقالت فأوضحت :

الحمد لله الذي غرس ريحانة الشباب، في قلوب ذوي الالباب ثم قالت، وللعجوز اشارت ويحك لو كنت تبكين على ما مضى، لكان لك اقرب الى الرضى وانشدت :

نور الشباب له عز وسلطان ... وللسعادة ارجاء واوطان
وللمحاسن اوصاف تقوم بها ... وللحقائق آيات وبرهان
روض الشباب تبدت فيه اربعة ... ورد وزهر ونسرين وريحان
من قال ان زمان الشيب يشبهه ... عهد الشباب فذاك القول بهتان
ياتي العجوز الذي ما قد مضى اسفا ... ترحلت عنك أوقات وازمان
وأنتم يا أهيل الحسن كلكم ... بيني وبينكم في الحرب ميدان

فلما فرغت الصبية من النظام، أقبلت الجوارى والعجوز عليهن من امام، فقالت لها بورك فيك من صبية، وفى ألفاظك الزكية، وسأقول بينكن مقالة انصاف يقتضيها الحق وجميل الاوصاف، اما البيضاء وذات السمرة فتلك فانيدة وهذه تمرة، وزينة الدنيا ذهب ونقرة، ثم قالت للكاملة والقصيرة، مسألتكما عندى يسيرة، اذا كانت الصورة الحسناء كاملة، فهى من النعم الشاملة، وعلى هذا فالقصيرة الذراع، لا يمتد لها فى مجال الفخر باع، فان القصر مذلة، بسبب هذه العلة، فتأدبى مع ذات الكمال، فانها ابهى منك وأمتع للرجال، ولو كنت بالسوية معها فى الجمال، ثم قالت للسمينة والرقيقة تالله لا اخفى عنكما من معانى الحسن حقيقة، فالسمينة رياض وجنان، والرقيقة روح وريحان ثم قالت للبدوية والحضرية، سأفصل بينكما بحكم الانصاف فى هذه القضية، اما القول الصحيح، فكل واحدة منكما فى زيها املح مليح، فالعربية تصلح للحضر والسفر، والحضرية لا تصلح الا للحضر، واما انا والصبية، فحجتها واضحة وحجتى غير جلية، لانها ابرع منى فى الجمال، وانفع للرجال. واما العجوز مثلى فقد هرمت بمضايقة الآجال، فما لاحد فيها مجال. ثم انصرف القوم، وارتفع العتاب واللوم.

الزجل

أنا ندور فى فاس بين ازناقى وادروب ... بالطبع والتأدب
حتى اسمعت هول فى واحد الزنقا ... بين الريام دعقا (1)
لما اسمعت ذا العياط يا حضرا ... اوقفت ردت خبرا
وانظرت فى الريام نوجدهم عشرا ... بيضا ولون حمرا
وارقيقة غزال فى بلاد الصحرا ... واخرى ملات عبرا
واخرى شطا مثل غصن البان ... واقصيرة وردة فى كم ملك
والبلدية بزينها فتان ... وعربية كساتها بالك (2)
وعجوزة مهدمة الاسنان ... واصبية باشفارها تهلك

من بعد ما هدوا ... حضروا هناك جواد
وقفوا وقد ردوا ... وتأدبوا الغياد (3)
والضد مع ضدوا ... يتعابرو الجهاد

---

1) خصومة
2) يعنى بلونه وهو الحمرة
3) الجوارى جمع غيداء

بيضا مع الحميرا وشطا مع القصيرا وعجوزا والصغيرا
والساكن البلاد بالوجه المحجوب وعربية بغنبوب (1)
واللى املات بالشحم فى عرقا واللى اتبلات برقا

* * *

نطقت وقالت البيضا حسنى هاج لونى ابيض كما العاج
بدنى كما القطن بيدين انساج وانت كذاك التمساح (2)
بين البياض وبين السواد دراج مثل النهار والداج
النسرى واللوز والازهار والسوسان والياسمين لونى
واكواكب والشمس والاقمار من وجهى والصبح من حسنى
وانت لونك يحكى للقار وادنيت (3) يا سودا اتعاندنى

اوعاى مع عقلك اوصمت او باعدنى
وانظر الى لونك وانظر الى لونى
عندى احسن منك فى الدار تخدمنى

لون البياض زهوا له العباد تهوى نصف الجمال هوا
انظر بفكرتك فى الثوب المجلوب صاحب البياض محبوب
وما السواد من رآد يتنقى باطل كذاك يشقا

* * *

نطقت وقالت السمرا بالزعاج لونى بديع وهاج
يشرق كما الخمر فى قطعان الزاج نسما وطيب واعلاج
وبماء الذهب كيتكتب التاج ونقش القباقب العاج
ما ريت فى البياض سوا خمسا معروفين بالثقل والبراد
ملح او جير به تكسما ورخام وعاج فالبياض اقداد
مبخوسين او قلها (4) بخسا تحت القدام يجرعوا النكاد

وارفاعت لسوام (5) تعرف للاسمر
شهد العسل ومدام والمسك والعنبر
والتبر حين يغنام والبرهمان لحمر

---

1) الغنبوت الوجه والطالع
2) كذا بالاصل
3) أى من مصائب الزمان معاندتك لى
4) اى ما أقلها بخسة
5) اى رفعة السوم

والتمر فأوانو والزهر   فاغصانو والعود فامكانو
لحمر بديع فى الماكول والمشروب   ما فيه شى معيوب

* * *

اهنا انتهى كلام السمرا حقا   واخذت سريع اتفقا
قامت لها البيضا هدت هدا   قالت كلام بلذا
باشمن لسان تجاوبينى يا سودا   وانكرت النمودا
اكسبت من اقرانك كم من وحدا   وانا كذاك لبدا (I)
لو كان فيك الخير تنباع (2)   فيد الدلال حافيا فالسوق
كيف ينباع البهايم الرتاع   شورك عن شور الادمى مفروق
للكانون تصلاحى بغير انزاع   ولباسك حالك اخشين خروق

من قربك يعمى   باصنانك المنتن
باش تعقدى الهما ؟   يا سودة الخدين
ما صال بالعظمى (3)   الا البياض مسكين

لولا المداد به ادفاتر مكتوب   والقلب به شعوب
نحلف فد نيتى (4) ما نرمق رمقا   سودا بطرف شفقا

* * *

نطلقت وقالت الحمرا بالزربا (5)   ها ذى عليك عقبا (6)
أش فيك ما يرى بالله يا شهبا   راسك تقول لهبا
لا حاجب اكحل لا عينيك هدبا   ظهرت عليك غلبا
لونك قيحى والبياض مسوس (7)   انت تنظر فيه وهو يبسال
كل اشقر حتما اخبيث منحوس   كما قالوا فالحديث مثال
ما ريت الديرا امع البرنوس   فوق اثواب البياض كتعمال
ما نطلقك بالدين   يا شهبت النشيا
لحمر كمال الزين   بالشعر والحليا
لولا السواد فالعين   ما ترمقى الدنيا

I) اى للابد
2) اى لما كنت تباع وتشترى
3) اى العظمة وهم ينطقونها بضم العين
4) اى فى دنياى
5) بالسرعة
6) بضم العين والقاف المعقودة اى عاقبتها عليك وحجتها لازمة لك
7) اى قليل الملح

لحمر بديع همي ما فيه ما تذمي وما البياض يعمي
لون البياض عجبك لون مخروب به زدت فالتعجب
عبي بخاطرك عني يا حمقا كيا (I) وزد حرقا

* * *

نطقت السمينا قالت بلسان مثلي يصول فازمانو
انظر لمعاصمي والصدر الملوان برز ترنج فاغصانو
ساقي وسرتي وارد في واعكان نسبي بحسن فتانو
نمشي مثل المركب الموسوق واذا نجلس كاني محلا (2)
زيني شحمي والشحم معشوق ما نحتاج ردا ولا جلا (3)
مهما راني بالبصر مخلوق يروح في خاطر ودبلا
من لا ظفر بيا ضاع الحزين عمرو
مغبون فالدنيا عظم الله اجرو
لان الشحم كميا له العباد شكرو
لحم السمين ملذوذ واما الهزيل مردود مارج عظام واجلود
من لا كسب شحما فحياتو متعوب عاش الحزين مكروب
فجريه واخدمتو باطل كيشقي جرات عليه شقا
وانت يا رقيقا مثل القطا زوجك تراه فقنطا
قبل الدخول بفراشك تتغطا قامت عليك عيطا
بدنك قويم لا طلعا لا هبطا كلك كذاك سبطا
تدرق في العرس بالحباب ما لك فيه سطوا ولا مكنا
والحمام تدخل ورا القبا وتخبع روحك فشي ركنا
زوجك يظل في شدا وعذاب وذا جاء الليل تروح لومحنا
يبات في مرتا هايم هميم منكود
يغسل الموتى يلمس عظام وجلود
عجبني وكيف حتى يبلغ معك مقصود
شمت يا رقيقا فافعالك الزعيقا وايحاعت الخليقا

I) كية المرة مر الكي
2) محلا يعني جيشا
3) كساء

ساقك من اللحم مخطوف العرقوب — والرد ف عود مثقوب
قصرى فى حديثك يا ذا العلقا — قصبة وفيك شقا

* * *

قالت لها الرقيقا هاذى علا — نزلت عليك جملا
عبر ترى بعقلك يا ذا الثقلا — بالك تكون فغفلا
كان هى الغزالة تشبه الجملا — او فالحضور تجلى
اسمع منى كلام بلا تدليس — وافتح لى وذنيك الصما
كان الزردخان (I) يشبه التليس — او البرنى (2) تشبه الرخما
لولا شمت وغربك يبليس — ما تفخرى بزين الشحما

ريتك فذا الوحلا — ما كتقد تقوم
حازت عليك علا — بالبلغم الموخوم
اقريب بلا عطلا — تدخل قبر مغموم

زهمت بالرزانا وانتنت بالسخانا يا بركت الكرانا (3)

انظر طبيب يجمع لك بعض اعشوب — نفخك يفش ويذوب
هاذيك يا مرا علت الاستسقا — دابا اقريب تفقا
بالقرب تنطفا من ذاك التخبيت — ريتك فشدا وتمريت
وقتا جبذتنى وفبابى دقيت — نوريك شين حبيت
اش من اسماق عليك (4) يا زير الزيت — بارك فركنت البيت
وانا هو الفرفرى (5) الذى يرفاع — فوق المرفع يشهى حسنو
وثمنو عالى باش كينباع — ورفيع القدر يشرب منو
ومن الرقا السيف كيقطاع — ويشطر كل من صادف بدنو

كيف تشبه لرزا — قل لى لغصن الياس
والكامر (6) اعزا — كيف تشبه الدنفاس
والحر بالغمزا — يفهم كلام الناس

منى هى اللطافا والطبع والظرافا يا صاحبت الغلافا (7)

I) نوع من الثياب رفيع
2) البوم
3) الضفدع
4) اسماق الظرف
5) يعنى البلور
6) ثوب من الحرير رفيع
7) اى الثخانة

منى العشيق صح ينال المرغوب   نسما وطيب وشحوب
وانتن باسلا تشبه للزقا   تحماض بقل عرقا

***

نطقت الطويلة قالت بالشد   مثلى يصول بالقد
منى يغير بين القامات البند   والرمح كيف ينحد
نورى الضيا بحال الشماع نوقد   جيدى عالى مجرد
اذا نلبس اتزين اللبسا   واللى رانى ينقسم قلبو
واذا نجلس بهجت الجلسا   والناس ليلى جميع يرتقبو
وما انت يا قصير اخنسا   مثل الفكرون فالتراب يربو

فمشيك تدردب (I)   كأنك قردا
ما فيك ما يعجب   لا سر لا لذا
واش من موجب   باش تعلى الهدا

لقصر عيب ديما   مولاه فى هزيما   يسام بقل قيما

ابك على الوفا بالدمع المسكوب   واحزن بقلب مرهوب
لان الكمال ليلو هى السبقا   له فى القلوب عشقا
الوافيا تندرج من تحت لواها   ثوب البها كساها
ما صالت النخيل الا بأعلاها   والشمس فى سناها
اسمع قول الناس واستعبر   وتأمل فيه نخبرك خبرا
الوافى فى الناس ما يغدر   والناقص تزيان لو الغدرا
والوافى فالثياب كيستر   واللى ناقص يكشف العورا

باش تفتخر فى الناس   يا قبضة الخضرا
فوق الحزام الراس   للناظرين عبرا
لو كنت من لكياس   تصمت وفيه خبرا

لشياخ باليشارا   قالوا الوفا تجارا   واما القصر خسارا

لقصر صح مولاه اضحى مغلوب   لاهل الكمال مكسوب
هذا هو الامر وعليه التفقا   ينعز من ترقا

I) تتدحرجين

قالت لها القصيرة يا عزافا — قصر فذا الخرافا
بالريح كتدور مثل الرفرافا — يا قامت الزرافا
اطلعت فالهوا مثل الصفصافا — لا طبع لا ظرافا
سالى جماعة الحذاق — واجميعت من هو لبيب يدرى
كان هو يشبه بوشقشاق (I) — للرعاد والزر والكدرى
ويذا ريت الطويل مقلق — تعرف بين القصير وراه يجرى

كم اقوام طالوا — واكمالهم يبسال
عن الصواب مالوا — ما بالغو المحلال
ما هو القصير قالوا — الا قصير الفعال

السهم شبر هدى خصلات — كيودى على الرمح كيعدى

مولى الحسام يصير قدام فالهروب — ويجنب تجنوب
وما المدس والخدمى والورقا — ما يتلاقاو بدرقا
انا الظريف نعجب من قاما — ندرج كما الحماما
وانت طلعت بكمالك تطاما — كتشبه النعاما
قالوا لمثال ما ينباع بالقاما — الا الحبل زهاما
انا فأكلى وكسوتى نرفق — بالرجل ونبيتو فرحان
وانت زوجك فهم لو ينفق — ما تظهر نفقتو مع الجيران
شاين جابو فساعتك تلعق — ءاش يملاك يا طويلة المصران

ذاك الكمال كله — قل لى ءاش تعمل به
سمك السما جل — ما تلتحق شى له
واللى معه شغل — فلأرض كيرقيه

القصر فيه نقاوا والطبع والذكاوا — بانت عليه طلاوا

وانت كذاك بذاك القد المسلوب — دغيا (2) يصير محدوب
بالله اقسمت ليلك ياذا العنقا — لا فتبنى بدقا

* * *

نطقت وقالت البلديا بالفن — ما نرقد على تبن
ما نطحن رحا ما بتنا فغبن — ما نبغرموا لمخزن

I) طائر من بغاث الطير
2) اى حالا

ما نحترقوا فصيف باللقطا   ما ندحاو مع مخيض شكوات
ما نجريو اذا تقوم عيطا   ما نشقوا ما نرحلوا خيمات
ما نمشيو نخبطو جبل ووطا   ما نحملو فظهورنا ثربات

لعرب مكشوفين   فشقا كثير وعذاب
وحنا الصلا والدين   ونقاوت الاثياب
بوجوه مستورين   عن العيوب فحجاب

ما نلبس عدايل   ما نحمل قوايل   انحازت لنا الفضايل

الطيب والمسواك يرقيو فلجيوب   هو لنا تطيوب
وارياحنا الزكيا تعبق عبقا   تدهى العقول شوقا
وابدانا تلين باسماق الحمام   وحنا ورد فكمام
ولباس كامرا ولا نظا (1) يغنام   وحلى ودر ينظام
حورات مزخر فين من جنات لنعام   بلباس وشراب وطعام
على السهارج ندرج لقدام   وسقاقى وخصص تفيض وتفور
واحياطى برقايم الرقام   وخوامى وكلل وحجاب وستور
وفراشات حرير فاش تنام   كل وجبينا فقصرها المعمور

وانزايه الغزلال   تلقى فروض عجيب
والرباب والميزان   والعود والتشبيب
والورد والنسودان   فظلايل التخبيب

هذا بغير تعكاس   عند افضايل الناس   معلوم شهير فى فاس

والساكنا البوادى بنت المزغوب   عاشت بوسخ وزغوب
لا طيب عيش لا كسوا لا نفقا   لا بعلها قنفا
نطقت وقالت العربيا عفى   اسمع تر لوصفى
احنا عندنا هو الزين الحرفى   معصور عصير مصفى
وقل شى من الكسوا كيكفى   هذا بقدر عرفى
العربية زينها منعوت   ما تحتاج لثام ولا سروال
وبدنها يشرق كما الياقوت   او الذهب الناير الشعال
وما انت يا صفرا قريب تموت   اربيع الظل بالهوا يذبال

1) الكامرا كما تقدم ثياب حريرية رفيعة ونسبها هنا لا ولنضا ولعله يعنى هولاندا

اتصنعى وجهك واتخللى تخلال
واتخزرى (I) زوجك بالقول والفعال
واذا يقرب لك من ساعتك تبسال

قد صادتك بليا دفنوك وانت حيا ما زينت زهو دنيا

اللحد والتراب من فوقك منصوب وارمل وجير وخشوب
تنظر من السما مقدار الحلقا عمدا عليك فى ضيقا
واحنا زينا هو زى العربان ما قط راه سلطان
بالنجع والقبب من فوق البزلان فيهم غيود غزلان
وافرشان المشالى بأعواد الزان واخيول كن (2) عقبان
باقلا من مثل النجوم تلمع وادروع كسات ساير البدان
واشناتل برياح كتفركع وزرد ولمط زين الفرسان
واشنا دكها للسما تطلع تسابق للوز والكروان

بالصيد والفرجات كنقطع الازمان
وانعمروا الخلوات ونأمنوا الخوفان
واللى يروح ، يبات من ساير الضيفان

وانزلوا الدوار فابطايح النوار واخيولنا تتغوار

نتعاند على الكادا (3) والمركوب والذهب فوق لركوب
والسخا والاحسان والكرام وصدقا نزلوا جميع رفقا

***

نطقت العجوز قالت منى خذ الخبر الفنى
لا تحسب صبية سو تغلبنى ما زلت كندنى
واللى كبير مثلى كيعشقنى قدرى كبير وسنى
اقطعت الولدا واتهنيت واتهنا زوجى وصفت امناى
ما نكسب غير الزبون فالبيت ما عندى مصاص ولا زواى (4)
لا فالظهر ولا فالحجر عبيت لا فالبطن ولا فالفراش معاى

I) اى تتملقين له
2) اى كأنها
3) اى القادة ويعنون بها نجائب الخيل
4) تعنى بالمصاص الرضيع وبالزواى الصبى كثير البكاء

طعمى لذيذ وبنين   للذوق فيه شهوا
يا حايرا وانتين   فى اكبر البلوا
ما كتراشى التين   تحلى اذا تلوا
همك كثير شاهر   بيتك كما المطاهر   زوجك يبات ساهر
الحمل والولادا فيها تعذوب   باقذار وذم مصبوب
يبات يمص فيك بحال العلقا   ابلا نعاس تبقا
عند القديم قالوا رى وتعليم   واعقل رجيح وافهيم
وما الكبار هى لهم تعظيم   وعز وازحيم
لا هند يا مرا قالوا غير قديم   يبرى الاعضا بتقليم
القدا وات ضراغم الفرسان   افرسان الحرب والحمالات
ما قط رضوا يركبو الجدعان   قالوا لك فمثالهم كلمات
اركب قارح يبيتك فرحان   لاين ما عولت به تبات
من خيط خيط (1) خليك   ما فيه ما يركاب
فالزى والتحريك   تحقار ولا تهاب
اذا قبلت عليك   من ساعتك تغلاب
قالوا الاشياخ الاحبار   عقب النهار فالوعار   تعيا صغار المهار
واللى ركب يركب كارح مذروب   نجم الطراد واهروب
بين الخيول يحضر فالاول سبقا   مهما طلق بطلقا

* * *

قالت لها الصغيرة كيف تشبهنى   بكماشك المتنى
انظر ترى لعينك وانظر لعينى   كلحظ طير برنى
وانظر ترى لسنك وانظر لسنى   واذهب وسر عنى
شفرى نبل وحجبى نقشا   والثغر ادرار (2) والخدود وضاح
والجيد منذ غارت الترشا (3)   والوجه يلوح والجبين صباح
والمرشف شاهد ويغشى   والريق مدام فى عسل لجباح
طبعك قبيح مسوس   قولك مع فعلك
يسكن فعظم السوس   اذا يقرب لك
السم فيك مدسوس   ريقك كيهلك

---

1) خيط خيط بكسر الخاء اسم صوت اى اترك المركوب الضعيف الذى تسمع له صوتا مثل خيط خيط

2) يعنى درر

3) الغزالة

اتهدموا سنانك واتعمشوا جفانك واتكمشوا دغانك

كتحفظ الكيو دوار وابج ولعوب تورى احراك وحروب
ما بابتك على ذا الا دقا من جنجفار تسقى
يا خاربت العقل لو خالطت تحكى الشباب للشيب
والناس فى المثل قالوا فى الترتيب نسمة الصغر كما الطيب
واللى كبير حتما فالكسب ايعيب فى البعد او فى القريب
اجميع ما هو فتى مشكور جميع نبات الارض والمأكول
فلبقاح الارض كلها واشجور كل فتى منها يصول ويقول
والشارف يحطب بالشاقور يصلاح للنار شهير معقول
قل لى شد حالك معى تدخل لذا الفتنا
عقلك تكون توعى واسمع لما قلنا
والله عجوز قطعى ما تدخل للجنا (1)

الكبر فيه مذلة او مرض بغير علة القبر به اولى

ما هو الكبير امليح الا فالمضروب (2) مسكوك او موهوب
قصر فذا الجدال واطو الشقا نبغى تكون فاشنقا

* * *

ثم انتهى الكلام وامعانى الاريام قبلت ملاح والسلام
الكل تعجبوا من صنع العلام هذا عيار واملام
للصلح حضروا الاديب النظام ما دح شفيع الانام
قالوا ابنا جازت الغرا ما نحسابو حضرت للدهكا
من فضلك تسمح لنا فشين جرا يجعل ربى فعمرك البركا
يا بن داود راس الشعرا تصالحنا من بعد ذا العركا
من فضلك الممدوح بقصيد تجمعنا
تسبى العقل والروح بالفن والمعنى
يشبرق ضياه ويلوح من بعد تصلحنا

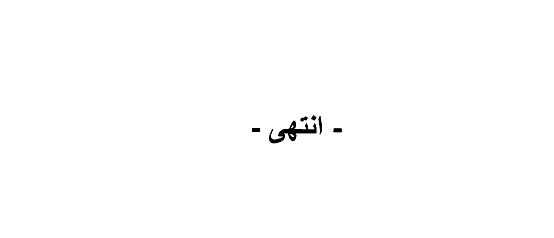
باش تشتهر اوصافو فالغرب عن اطرافو واللى اقراه أو شافو

يدعى لنا ظمو يستغفر ويتوب يحظى بكل مرغوب
ونعود بالسلام لشياخ الطرقا طول الدوام يبقى

---

1) يشير الى ما ورد فى الحديث : اما علمت ان العجائز لا تدخلن الجنة، المراد انهن لا يدخلن عجائز بل شابات

2) اى الدنانير المضروبة



- انتهى -